بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس الأول – مقدمات منهجية (1)

الحمد لله رب العالمين وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين, أما بعد:

الله يحيكم, ومرحبا بكم, طبعاً هذه المادَّة متعلقة بدورتين: دورة مقدمات العلوم ودورة الصناعة الحديثية.

في دورة صناعة حديثية ستأخذ في هذه المادة كشيء مشترك بين الدورتين

المادة هي مقدمات منهجية لدراسة علم الحديث بطريقة صحيحة: هذه مقدمات لن نأخذ فيها أبواب علم الحديث, لن نستعرض المصطلحات الحديثية وإنما سنأخذ مقدمات وضوابط منهجية تكون في بال دارس علم الحديث حتى يدرس علم الحديث بطريقة صحيحة, الدراسة الصحيحة للعلم هي التي تؤتِ الثمرة بإذن الله فمن توفيق الإنسان أن يبتدىء بدراسة علم معين وهو يسير على أُسُس منهجية فيه, وعكس ذلك أن يبدأ الإنسان بدراسة علم ويستمر فيه سنوات وهو مو عارف أصلاً القواعد المنهجية التي تحكم هذا العلم والتي تؤدي به إلى نتيجة جيدة, وبالتالي فلا يجد أثر ولا يجد ثمرة وهذا المشاهد, مثلا رجل متخرج شريعة أو أصول دين أو شيء ... يقول لك يا أخي احس أني ماني فاهم احس اني ماني مستوعب الفقه او غيره وقول الفقه اموره اوضح لكن ماني مستوعب اصول الفقه مثلا أو الأبواب العقدية وهذا يعود إلى عدد من العوامل منها لا يوجد تصور سابق عن هذا العلم. انت داخل على أيش ؟ ما هي المحطات المنهجية التي يجب أن تراعيها أثناء الدراسة حتى تصل إلى نتيجة جيدة.

هذه القواعد المنهجية ليست خاصة بمن يريد أن يَدرُسَ علم الحديث فقط وإنما يستصحبها حتى من تقدم في العلم قليلا ويستصحبها من يريد ان يُدَرِّس العلم الحديث, يعني هي للطالب وللمدرس, لأن تدريس علم الحديث يجب أن يكون على ضوء بعض القواعد المنهجية, **لا أزعم أن هذه القواعد شاملة لكل شيء** ولكن على الأقل تغطي بعض الأمور التي من المهم مراعاتها أثناء الدراسة وأثناء التدريس

نبدأ بنقطة مهمة جدا في إجابة عن سؤال وهذه المقدمة ستظهر أهميتها بالمقدمات التالية:

ما الثمرة المرجوَّة من دراسة علم الحديث في هذا الزمن: ألا نكتفي بجهود المحدثين السابقين ؟ التي قدمت في التعامل مع الأحاديث والحكم على الأحاديث !

يعني علماء الحديث خلال قرون علماء الحديث حكموا على الحديث وعلى الرجال وعلى الروايات وبذلوا جهدهم في استخراج العلل الخفية والعلل الظاهرة والكتب الحديثية كثيرة والأسانيد والفهارس والترتيب وكتب التخريج وكتب الرجال, ما الفائدة من أن ندرس علم الحديث الآن؟ لماذا لا نأخذ أحكام المحدثين وتنتهي القضية !

الجواب عن هذا السؤال مهم جدا وسأذكر خمسة وجوه تظهر أهمية دراسة هذا العلم وهذه الوجوه الخمسة استحضروها جيدا للمقدمات التالية لأن السر هو فيما يأتي بعد ذلك وسنُحيل كثيراً إلى هذه الوجوه الخمسة

الوجه الأول الذي يظهر أهمية علم الحديث أنه الخطوة الأساسية للوثوق بالسنة النبوية, فإن دراسة علم الحديث دراسة تفصيلية هو بوابة أساسية للوثوق بالسنة النبوية.

يعني لكي يكون عندك ثقة بهذا المنقول عن الرسول صلى الله عليه وسلم من الأحاديث الموجودة: صحيح البخاري, صحيح مسلم, ... هذه الأحاديث التي نتناولها الآن ونبني عليها الشرع ونبني عليها الحلال والحرام ونؤمن بما جاء فيها من أخبار واعتقادات, تعرفون أنه هناك تشكيكات في السنة وتشكيكات في الأحاديث وما الذي يجعلنا نضمن أن البخاري صحيح !!

انت ممكن تعتمد على كلام بعض العلماء لكن هذا لا يعطي يقيناً راسخاً عند الكثير على الأقل, الطريق إلى الوصول إلى اليقين الراسخ بصحة السنة النبوية وأنها مصدر للتشريع هو أن تعرف المعرفة التفصيلية بآلة نقل السنة فإذا وثقت

بآلية النقل ستثق بالسنة وإذا كان عندك شك أو ريب أو عدم تصور تفصيلي حقيقي عن واقع علم الحديث الذي نقلت به السنة إلينا فقد تتأثر بتشكيك مشكك أو بطعن طاعن

إذا من أهمية دراسة علم الحديث في هذا الزمن هو زيادة الموثوقية في السنة النبوية, هل لهذا الوجه علاقة بكيفية دراسة علم الحديث ؟ سيأتينا الجواب في المقدمة التالية

الوجه الثاني الذي يُظهر أهمية دراسة علم الحديث هو أن إحسان فهم كلام المحدثين لا يتم إلا عبر دراسة علم الحديث دراسة تفصيلية

المعترض قال: لماذا تدرسون علم الحديث وهناك أحكام للمحدثين ؟

نقول: لن تستطيع أن تفهم أحكام المحدثين فهماً جيداً إلا إذا درست علم الحديث.

مثال: الإمام البخاري رحمه الله تعالى حكم على حديث في صحيحه – واخرجه مسلم أيضاً – ولكن حكم عليه في غير صحيحه في علل الترمذي الكبير, سُئل عن هذا الحديث فقال حديث حسن وحكم على حديث آخر أقل مستوى بكثير من هذا الحديث من جهة الإسناد من جهة القوة فقال فيه نفس الحكم: حديث حسن, فهل يقصد البخاري في الحديث الأول نفس ما قصد بكلمة حسن في الحديث الثاني ؟

لن نعرف الفرق بين الأمرين إلا إذا درسنا علم الحديث دراسة تفصيلية, إذا لم يكن هناك دراسة تفصيلية لن ندرك أصلا أن هناك فرق بين الحكم الأول والحكم الثاني بينما هناك له معنى وهنا له معنى

وهكذا إذا وقفت على بعض العبارات مثلا: الترمذي حكم على حديث فقال هذا حديث حسن وليس إسناده بمتصل. في الجامع في سنن الترمذي

انت إذا لم يكن عندك دراسة تفصيلية كيف تفهم هذا الكلام ماذا يقصد الترمذي بحسن وليس إسناده بمتصل, ما معنى حسن هنا, لأن عدم اتصال الإسناد هو شيء مضاد للحُسن في بادرة الذهن. إذا قول القائل أننا نكتفي بأحكام المحدثين نقول له إنك لن تفهم كلامهم أصلاً فهماً جيداً حتى تدرس علم الحديث دراسة تفصيلية.

الوجه الثالث الذي يظهر لنا ثمرة وأهمية دراسة علم الحديث في هذا الزمن القدرة على إدراك الصواب في الإختلافات بين المحدثين سواء أكانت الإختلافات منهجية أو تطبيقية.

كيف تتعامل مع حديث فيه خلاف؟ إلا إذا كان لك آلة وقدرة على معرفة سبب حكم المحدث على هذا الحديث بكذا وسبب حكم المحدث الآخر على هذا الحديث بكذا وبالتالي كيف تصل إلى نتيجة متقاربة أو ترجح قول طرف على آخر.

النتيجة لن تكون بالذوق ستحتاج إلى معرفة أسباب الخلاف وعوامل الترجيح .

علم الحديث في القرن الثاني والثالث للهجرة كان علماً صافياً غير مختلط بأي علم آخر وكان الممسك بزمام هذا العلم هم أهله الذين هم المحدثون, كان هناك الإمام أحمد, والبخاري, ومسلم, وأبو داود, والترمذي, وأبو حاتم الرازي, وأبو زُرعة الرازي, ويحيى بن معين, وعلي بن المديني, **هؤلاء في القرن الثالث**.

وقبلهم في القرن الثاني: شُعبة وسُفيان الثوري, يحيى القطان, وكيع, عبد الرحمن بن المهدي.

هؤلاء هم نجوم علم الحديث ولم يكن علم الحديث مختلطا بعلم آخر يؤثر عليه.

وبالتالي فإن القواعد لتي ينطلق منها المحدثون وإن لم تكن مدونة نظرياً لكنها معترف فيها بينهم أدبياً, المنهجية في القواعد الأساسية والتفصيلية تقريباً واحدة ربما هناك بعض الإختلافات اليسيرة التي لا تكاد تذكر لكن قد يختلفون في التطبيقات.

مثال: يتفقون أن زيادة الثقة في الحديث ليس لها قبول مُطلق أو رفض مُطلق وإنما بحسب القرائن.

إذا عند الدراسة يختلفون في القرائن هل هذه الرواية توفر فيها القرائن أم لا .

بعد ذلك بقرون حصل هناك إمتزاج وتداخل بين العلوم الإسلامية ودخلت بعض العلوم التي لم تكن موجودة سابقاً أصلاً في قاموس العلوم الشرعية.

مثال: علم المنطق ما كان موجود في قاموس العلوم الإسلامية.

علم المنطق يتكون من شقين: شق تعريفات (الحدود) وشق تصديقات أو براهين.

علم الحديث له ارتباط أساسي بالتعريفات لأنه مصطلح: ما تعريف الحسن, ما تعريف الصحيح ...

فكان هناك منهجية لتعريف المصطلحات عند المحدثين, لما جاء علم المنطق وعلم المنطق له قانون في التعريف المصطلحات فدخل هذا العلم على علم الحديث فصار فيه كيف تعرف هذا المصطلح فصار فيه دخول من خارج هذا العلم, ومن ذلك تجد بعض المحدثين المتأخرين يقول لك: هذا التعريف ليس على صناعة الحدود أي ليس على نظام علم المنطق.

هل العلم المنطق هو الأفضل في تعريف المصطلحات الحديثية؟

الواقع (واقع المحدثين) يقول لا.

هذا الإمتزاج الذي حصل ليس فقط في المصطلحات وإنما صار من أبواب أصول الفقه الأساسية, الأدلة: القرآن السنة الإجماع القياس, السنة علم الحديث.

من هم علماء الأصول؟

أكثر علماء الأصول الذين تكلموا في هذا المجال هم ليسوا من أهل الإختصاص في علم الحديث بل إن كثيرا منهم كانوا من المتكلمين, وبعض المصطلحات الكلامية لا تستوي كثيرا مع صفاء علم الحديث في السابق.

المهم: حصل امتزاج بين العلوم وبالتالي حصل نوع من الاختلاف في طريقة تصحيح الأحاديث وطريقة النظر في تعريف المصطلحات, وهذا الإختلاف المنهجي له أثر عملي في أن السابق يصحح حديث واللاحق يضعفه.

كيف يمكن للناظر في كتب الحديث أن يميز الإختلاف المنهجي وأن يعرف الصواب إلا بدراسة علم الحديث.

وهذه الإختلافات لا يعني لا يمكن الوصول إلى الصواب فيها لا, يمكن الوصول إلى الصواب لكن بقدر المعرفة.

الوجه الرابع الذي يظهر لنا أهمية أو ثمرة دراسة علم الحديث التأكد من صحة أحكام من حكم على الحديث من المحدثين.

ليس كل من حكم على الحديث يكون على درجة عالية جدا من المعرفة في الحديث, بمعنى الذين حكموا على الحديث خلال قرون ما بين القرن الثاني للهجرة إلى القرم الرابع عشر للهجرة خلال 12 قرن مر المئات من المحدثين **والذين حكموا على الأحاديث منهم وانتشرت أحكامهم ليسوا بهذا العدد الهائل جدا**, ولكن أيضاً الذين حكموا على الأحاديث ليسوا على درجة واحدة فهناك محدثون في الدرجة العليا جداً من هذا العِلم كالبخاري والإمام أحمد وأبو حاتم الرازي وأبو زرعة الرازي وعلي بن المديني وفي ناس دون ذلك, وهؤلاء قد تبحث فلا تجد إلا أحكامهم على الحديث وهنا قد لا يكتفي الشخص الباحث المحقق بحكم شخص واحد على الحديث فيتأكد ويراجع خلفه فربما يكتشف نوعاً من العلة لم ينتبه له هذا الذي حكم على الحديث أو الرواية وهذا من أهمية وفوائد دراسة علم الحديث.

مثال: يأتيك الآن بعض الملحدين وبعض المشككين في الإسلام وبعض المشككين في السنة – هم على درجات – قد يأت لك بتصميم فيه حديث ويقول لك صححه فلان ثم يقول لك هذا الحديث يعارض العلم الحديث أو العقل او غيره...

فهنا أحد أمور: إما أن يكون الحديث صحيحاً بالفعل ولكن هناك اساءة فهم للحديث أو يكون الحديث ليس صحيحاً وإن صححه فلان. وبالفعل بعض الأحاديث التي يستدلون بها الآن عند التحقيق والبحث ليست صحيحة.

لكن كيف تستطيع أن تتعقب على هذا المحدث أصلاً الذي صحح هذا الحديث إلا أن يكون عندك معرفة تفصيلية بعلم الحديث

مثلا: حديث السحاب أن صوت الرعد هو صوت الملك الذي يسوق السحاب والبرق هو سوت الملك يسوق السحاب.

هذا الحديث صححه البعض وقد بحثت الحديث بحثاً جيداً فتوصلت إلى أنه حديث لا يصح, حديث فيه إشكال من جهة الصنعة الحديثية – بالأسانيد – أصلاً وليس فقط قضية متن.

لم اقف على أحكام المحدثين الكبار الذين حكموا على الحديث الصحة وإنما أناس من بعض المتأخرين.

الخلاصة: العلماء يختلفون في درجات الحكم على الحديث فأنت تحتاج إلى معرفة تفصيلية بالحديث حتى تستطيع أن تميز على الأقل عند الأحاديث المشكلة. أول خطوة أن تراجع ربما يكون هناك علَّة لم ينتبه لها الذي حكم على الحديث, أما لو جائك حكم عن البخاري أو عن الإمام أحمد أو عن الناس الكبار ريح راسك.

الوجه الخامس والأخير من وجوه أهمية دراسة علم الحديث في هذا الزمن سهولة الوقوف على حكم الأحاديث والآثار التي لم يجد فيها حكما معتمداً او حكماً مطلقاً

هناك بعض الأحاديث ليس من السهل أن تقف فيها على أحكام أو آثار, يعني ليس كل حديث أو أثر من السهل أن تجد فيه حكماً عليه.

مثلا: مصنف أبي شيبة تقريبا ثمانية وثلاثين (38) ألف أثر عن الصحابة والتابعين وعن الرسول صلى الله عليه وسلم

لو كان عندك دراسة جيدة لعلم الحديث تستطيع أن تحكم على الحديث بسهولة وخاصة أن علل الأحاديث في الأثار عن الصحابة أقل من علل الحديث في الأحاديث المرفوعة وبعض الأحيان من السهل أن تحكم على إسناد واحد.

أين يمكن أن يظهر الخطأ في الحكم على الحديث ؟

الحديث يجب أن تجمع طرقه لتحكم عليه, بالمقارنة وتنظر هذا أخطأ أو لا, اتفقوا اختلفوا, ومن الراجح, هنا صنعة الحديث الحقيقية, وهنا قد يفوت الناظر بعض الأشياء الدقيقة, لكن آثار الصحابة كثير منها ليس له إلا طريق واحد وليس كالحديث النبوي له طرق كثيرة وبالتالي فالإختلافات بالطرق غالباً لا تكون في آثار الصحابة وإن كان بعضها لكن ليس الأكثر.

كيف ستستطيع أن تقف على أحكام سهلة إن لم يكن عندك معرفة بعلم الحديث.

نكتفي بهذه الوجوه الخمسة في بيان أهمية دراسة علم الحديث.

أسئلة مراجعة المقطع الأول في مقدمات منهجية لدراسة علم الحديث:

1 - أذكر ثلاثة وجوه تظهر أهمية علم الحديث

- الخطوة الأساسية في الوثوق بالسنة و صحتها و أنها مصدر للتشريع

- إحسان فهم كلام المحدثين لا يتم إلا بالدراسة التفصيلية لعلم الحديث

- سهولة الوقوف على حكم الاحاديث و الآثار التي لم يجد الباحث فيها حكما

2 - علم الحديث كان صافيا غير مختلطا بغيره من العلوم في القرن الثاني و الثالث الهجري أذكر:

- خمسة محدثين نهضوا بهذا العلم في هذا العصر

الإمام أحمد و البخاري و مسلم و ابو داوود و يحيى بن معين و علي بن المديني

- سبب تأثر علم الحديث بعد القرن الثالث و اختلاف منهجية الحكم على الاحاديث

دخول علم المنطق و بعض المتكلمين من علماء الأصول من غير أهل الإختصاص بعلم الحديث